الحكمة من وجود الأهلة

وأخبر أيضا بالٍحكمة في هِذِه الأهلة، وذلك لما سأل الصحابة رضي الله عنهم نبيهم صلى الله عليه وسلم عنها أنزل الله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } والمواقيت: هي التي يعرف بها مواقيت الأشياء . ففي مرور هذه الأيام وكذلك الأشهر مصالح للعباد، مواقيت للناس؛ يعرفون بها أوقاتهم فيعرف بمرورها حلول الآجال كالديون ونحوها. وكذلك العِدد التي يحتاج إلى معرفة عدة المرأة المطلقة أو المفارقة أو المتوفي عنها، وما أشبه ذلك. وهكذا مواقيت العبادات. كالحج والصوم والزكاة مواقيتها تعرف بمرور هذه الأشهر، ففيها مصلحة. ولذلك لو لم يكن ذلك لما انتفع الناس ولِما هرفوا وقتهم أيّ وقت؛ ولذلك يِقِول تعالى: { قُلِ ْ أَرَاْيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَّهُ غَيْرُ الَلَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاْءٍ أَفَلًا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ إِللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ مَنْ ۚ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ ۖ بِلَيْكِ تِّسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } يعني: لتسكنوا وتريحوا أنفسكم في الليل. { وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَصْلِهِ } في النهار؛ يعني: غالبا، الأغلب والأكثر أن التقلب والانتشار يكون في النهار، وأن الليل يكون وقت الراحة ووقت الهدوء والسكون والرجوع إلى الاكتنان والنوم وأخذ الراحة. هذا هو الأصل في جعل هاتين الآيتين: الليل والنهار . فلو كان الوقت كله ليلًا لما انتفع الناس وتقلبوا في حوائجهم، ولو كان كله نهارا لما حصلوا على زمن يريحون فيه أنفسهم. ولكن من رحمته أن جعل ليلا ونهارا مستمرا يعني: ياخذ هذا من هذا، ويستويان حينا فذلك من تمام نعم الله علينا. هذا من جهة أنها نعمة وفيها منفعة. كذلك فيها عبرة؛ عبرة وعظة؛ وذلك لأننا نرى غروب الشمس وغروب القمر، واجتماعهما أحيانا، وتفرقهما. نرى أنه في أول الشهر يكون الشمس والقمر مجتمعين، من ساعة ما تغرب الشمس يبدو القمر، وهكذا في الليلة بعدها. ثم بعد أيام يكونان متفرقين؛ الشمس في المغرب والقمر في المشرق أو بالعكس. ففي هذا أيضا عبرة وعظة حيث اجتمعا في يوم وفي وقت متقارب، ثم تفرقا وتباينا وتباعدا في وقت أيضا متقارب. أليس ذلك دليل على أن الذي يصرفهما ويسيرهما هو الله سبحانه وتعالى؟ المستحق لأنْ يعبد وأن يحمد وأن يثني عليه، وأن يعرف حق معرفته، وأن يطاع حق طاعته. ففي هذه الأوقات عبرة وعظة، كذلك ما يحدث الله في هذه الأيام والليالي من التقلبات؛ فيها أيضا عبرة وعظة فإنك تشاهد أو يمر بك كل سنة تقلب وتغير في الزمان. في زمن من الأزمنة يكون الوقت شديد البرد لا يقر الناس إلا في أكنة ويلبسون ألبسة غليظة؛ تقيهم ذلك القرّ وذلك البرد الشديد الذي لو لم يأخذوا عدة تقيهم لتألموا ولتعذبوا ولتعرضوا لأضرار تنتج من ذلك البرد. من الذي أحدثه؟ هو أن ربنا سبحانِه هو الذي غير الزمان، دون أن نملك نحن لذلك تغييرا، ثم بعد فترة ومدة يسيرة تنقلب الحال فيكون الوقت شديد الحر؛ يأتي حر شديد. قد يفرط وقد يكون متوسطا. هذا الحر الشديد. من الذي أحدثه؟ إن الله سبحانه هو الذي يغيره. الشمس والقمر موجودتان في الشتاء وموجودتان في الصيف، ومع ذلك فإن لكل منهما تاثيرا، وتاثيرهما ان الشمس تفيد الضياء وكذلك القمر يفيد النور، ومع ذلك لم يخفف وجودهما من شدة الحر، ولا من شدة البرد، فذلك دليل على أن الذي قدر ذلك وقيضه هو الخالق وحده، فليس لأحد تصرف فيه. هذه الرياح التي تهب شمالا وجنوبا وشرقا وغربا؛ الرب تعالى هو الذي يثيرها. لو اجتمع الخلق على أن يسكِنوها إذا ثارت وتسلطت لما استطاعوا، ولو سكنت وأرادوا أن يثيروها وأن يرسلوها لما استطاعوا ذلك، ومع ذلك أحيانا تاتي ببرد قارس شديد، وأحيانا تاتي بسموم شديد الحرارة وهي ريح واحدة وليس لأحد فيها تصرف. إذن فالإنسان يعتبر بما يمر به في هذه الأوقات من هذه التغيرات، ويأخذ من ذلك موعظة وذكري.